عدسة

فريد رمضان

«سيريانا».. وضع الشرق الأوسط على المجهر

ربما يشكل الفيلم الأمريكي 'سيريانا' للمخرج 'ستيفن غاغان' وبطولة مجموعة كبيرة من الفنانين ربما يكون أبرزهم 'مات ديمون' وجورج كلوني' الذي حاز عن أدائه في هذا الفيلم على جائزة أحسن ممثل مساعد في أوسكار 2006، نقلة نوعية في الاهتمام الجاد الذي تشكل في وعي المثقفين الأمريكيين، ذلك أن محاولاتهم الإبداعية بدأت تقترب من الشرق الأوسط لتقدم من خلال وجهة نظر حيادية، أو ناقدة للسياسة الأمريكية في تقديم قراءات مختلفة لما يدار فوق صفائح خزائن النفط التي يتقاسمها الأمراء والحكام مع شركائهم الأمريكيين من شركات النفط في الشرق الأوسط وصولا إلى مكاتب تحريك اللعبة السياسية وتدويرها حسب تغير المناخات السياسية والاقتصادية في المنطقة.

ويُعد هذا الفيلم بحق مثل نشرة الأخبار، مثلما صرّح المخرج في أحد اللقاءات، فالفيلم يبدأ في مدينة طهران الإيرانية، حيث امرأة إيرانية تستر عريها على أنغام موسيقى الراب والخمور، لتتغطى بالكامل ثم تخرج مرتدية سوادها، في حين يجري العميل الأمريكي بوب بارنز (جورج كلوني) عملية بيع قذيفة لأحد التنظيمات الإسلامية السرية التي يكون ممثلها عربي مرتديا الثوب القصير. من هنا يطوف الفيلم طول المنطقة وعرضها حيث دولة الصحراء النفطية والتي أطلق عليها في الفيلم مسمى 'سيريانا'، حيث صراع الحاكم القائم بينه وبين أبنائه الأمراء، وعمال النفط من شرق آسيا من الهنود والباكستانيين الذين يعيشون على الكفاف، ويكافحون من أجل الحصول على العمل، وتسريحهم حسب حاجة السوق، واستغلالهم من قبل التنظيمات الدينية في العمل من أجل نشر شرع الله، حيث ينتهي الفيلم بما يبدأ فالقذيفة التي تباع في طهران تُضرب بها الباخرة العسكرية الأمريكية في اليمن، وبين إيران وصحراء سيريانا، ننتقل بين شركات النفط في أمريكا، والقصور السويسرية، وعمليات تحويل النفط إلى ذهب في الحسابات المصرفية هنا وهناك، مرورا بالصراع العربي الإسرائيلي وإن لامسه المخرج الذي كتب السيناريو من كتاب لعميل سابق في المخابرات الأمريكية، بخجل خوفا من اللوبي الصهيوني في هوليوود، حيث بيروت وحزب الله، ورمز السيد الهاشمي، والاتفاقات السرية التي تصنع الهدنات المؤقتة، والتصفيات الجسدية لمن يقف ضد هذه السياسة، حتى ولو كان أميراً!

إن الفيلم يقول أكثر مما قلنا وكتبنا، ويحمل في طياته قراءات مختلفة لما يدار في المنطقة من خطط تخدم مصالح مجموعة، وتوّلد فكرا إرهابيا عن جماعة، وتفكك في قيم الثورة في دولة تحاول الخروج عن سطوة رجال الدين، ومكافآت بالملايين في موت أطفال حتى لو كان هذا الطفل أمريكيا، وهو الأمر الذي يقود بريان وودمان (مات ديمون) إلى العمل مع الأمير ناصر (ألكسندر سايدغيت) بعد تعرض ابنه للموت بسبب تعرضه لتيار كهربائي عالٍ في بركة سباحة في أحد القصور السويسرية.

وأقول إن الفيلم يقول الكثير، لأننا بالضبط أمام نشرة أخبار يمكن أن تتغير مجرياتها في أية لحظة، وما يقرأ اليوم، بالطبع لن يقرأ غدا في نشرة التاسعة مساء مثلا. ولأنني احتجت شخصيا لفهم بعض ما يقوله من خلال مشاهدته ثلاث مرات في نسخته الكاملة التي لم تتعرض لمقص الرقيب، إذ إن النسخة المعروضة في السينما تعرضت للقطع هنا وهناك. إلا أن عرضه في دور العرض في البحرين يحسب لتطور مساحة الحريّة التي سمحت لنا بمشاهدة هذا العام فيلمين منعتهما كثير من الدول العربية، ونقصد بهما هذا الفيلم وفيلم 'شفرة دافنشي'.

تنويه

نعتذر من الزميلة أمينة بركات عن سقوط أسمها سهواً في صفحة الأسبوع الماضي ولقائها مع الكاتب السينمائي حسن حداد.

حين يشتبك الفيلم مع السياسة الاقتصادية الدوليّة والعربيّة

«سيريانا» صدمة النفط «2-1»

لقطات من فيلم « سيريانا »

كتب: حسن حداد

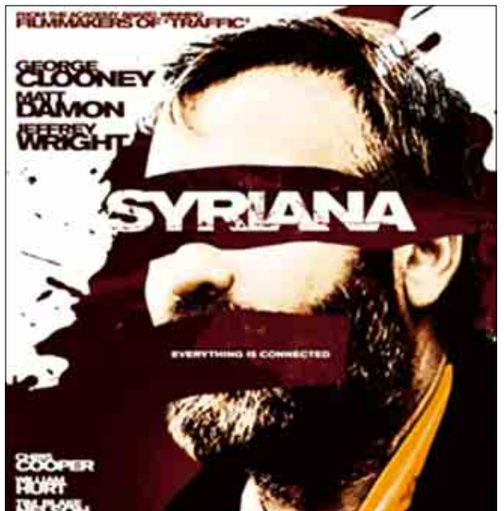

سيريانا، دولة وهميّة تلك التي يتحدث عنها الفيلم، لكنها مأخوذة من صميم واقع حي؛ فَسيريانا' هي لفظة تجمع بين سوريا وإيران والعراق؛ اسم لبلد متخيّل تسعى الأوساط الاقتصادية النفطية الأميركية وراء السيطرة عليه، هذا ما أكده كاتب ومخرج فيلم "SYRIANA"، الذي شاهدناه مؤخراً في نسخته الممسوخة بعد القطع والتشطيب الذي تولاه الموزع في منطقة الخليج العربي.

في 'سيريانا'، نحن أمام فيلم صعب ومعقّد، مثله مثل الواقع السياسي والاقتصادي الذي نعيشه، ففي معالجة جريئة وملفتة للمخرج والسيناريست ستيفن غاغان لكتاب (لا ترى شراً See No Evil) لروبرت بيير العميل السابق للمخابرات الأمريكية، نجح في تقديم أحداث درامية مليئة بالإثارة والحقائق المميتة.

فعندما يقرر الأمير العربي ناصر (ألكسندر سايدجيت)، ولي عهد إحدى إمارات الخليج العربي المنتجة للنفط، وقف التعامل مع الشركة الأمريكية العملاقة 'كونكس أويل' التي تعمل في مجال النفط، وتحويل تعاملاته لصالح شركة صينية بديلة قدمت عطاءً أفضل، تقوم القيامة هناك، في أمريكا، حيث تعتبر الشركة الأمريكية ومعها وكالة المخابرات المركزية، بأن هذا الحدث يشكل صفعة قويّة لها ولكل الاستثمارات والمصالح الأمريكية في منطقة الخليج. تصل إلى درجة أن تكلف وكالة الاستخبارات أحد عملائها ويدعى بوب بارنز (جورج كلوني) بتصفية الأمير ناصر.

في الوقت نفسه، وفي جنيف، يقرر بريان وودمان (مات ديمون)، وهو أحد الوجوه الشابة الطموحة في شركة أمريكية تعمل في مجال موارد الطاقة، الانتقال للعمل كمستشار للأمير ناصر. غير أن ناصر يستبعد في اللحظة الأخيرة، عن ولاية العهد من قبل والده الذي يلتف حوله الأمريكيون مجدداً ويعين ابنه الأصغر ولياً للعهد.

وباعتبار أن هذا الأمير العربي مجتهد ومؤمن بمبدأ الإصلاح السياسي والاقتصادي في بلده، فهو يصرّ على موقفه، بل ويحاول التمرّد على والده الذي يميل إلى الأمريكان مع وريثه الأصغر. ولكن هذا لا يعجب الأمريكان تماماً، فيتم تصفيته تماماً وإزاحته من طريقهم.

في الطرف الآخر من عناصر السرد الدرامي، هناك الشاب الوسيم، الباكستاني المقيم في الإمارة والذي سرّح من عمله عقب إغلاق فرع شركة ''كونكس'' في الإمارة، ليلتحق بعد ذلك بمدرسة لتعلم العربية والقرآن تشكل مهداً لتنشئة الإرهابيين.

في هذا الفيلم، نرى شخصيات تدور في سياق أحداث متوازية ومترابطة، فمن المؤكد أن الشخصيات والأماكن والأسماء هنا من نسج الخيال، إلا أن الحبكة والسرد الدرامي مبنيان على وقائع حقيقية وتجربة ذاتية لعميل الاستخبارات الأمريكي السابق روبرت بيير، حيث يصوغها كاتب السيناريو في فيلم تشويقي مثير وخلفية من الصراعات السياسية والاقتصادية، ويطعمها بجرعة ذكية ورؤية متبصرة لسياسات الولايات المتحدة وعلاقاتها الخارجية بدول منطقة الشرق الأوسط.

يقدم سيناريو الفيلم أحداثه من خلال حادثتين هامتين، الأولى هي قيام أمير دولة عربية بالجلوس بمقعد والده، والثانية تفجير المدمرة الأمريكية ''كول'' عند سواحل اليمن. وبالطبع الحادثتان تسيران في خط متواز ولا تلتقيان حتى النهاية، يقدم كاتب السيناريو هاتين الحادثتين ويربطهما بما يدور في حقول النفط، هذا السائل الذي يشكل أهم ثروة صناعية في العالم، وبالتالي لابد أن تدور الكثير من المؤامرات والدسائس في كل دول العالم من أجل امتلاكه. وهذا ما يفسر أن أحداث الفيلم تدور في الكثير من دول العالم

وتتعامل مع جنسيات مختلفة، حرص الفيلم على أن تتحدث كل هذه الجنسيات بلغتها الأصلية، وذلك من أجل الاحتفاظ بالواقعية وإضفاء مصداقية على الأحداث الخطيرة التي يتناولها، لنتابع نحن كمتفرجين، لغات مثل الفرنسية والعربية والصينية والفارسية والهندية، إضافة إلى الإنجليزية.

ويُعد الفيلم فرصة مهمة لعرض الكثير من القضايا المحظور تناولها، مثل التعرف على كيفية إقامة الأثرياء العرب في أوروبا، وكيف تكون المنافسة بين شركات البترول الأمريكية، وارتباطاتها بالمخابرات المركزية. فنراه يقدم الكثير من الشخصيات والأحداث التي تنتقل بنا من إيران إلى لبنان إلى سويسرا مروراً بمدن أخرى في أمريكا.

كما أن صناع الفيلم لم يستثمروا هذه الفرصة لتقديم رؤية حضارية حديثة عن الشرق وناسه، حيث طغت النظرة الاستشراقية القديمة عن غلمان الشرق واللهو المتمثل بشرب الخمر والإدمان عليه، وأيضاً ظروف المرأة المقهورة والمنسية.

ومع كل هذه الأحداث، هناك أحداث تدور على خلفيّة هذا الواقع، وغالباً ما تكون أكثر أهميّة، فمثلاً نرى حكاية الشيخ محمد عجيزة (عمرو واكد) مع اثنين من العمال الآسيويين العاملين في مجال آبار النفط، حيث يحثهما على تعلم اللغة العربية ويقنعهما بأنها المعين لكي يتسنى لهما العيش بأمان في هذا البلد، وبالتالي يقوم بتجنيدهما للانضمام إلى منظمة لا يشير الفيلم إلى اسمها مباشرة، ولكنه يتحدث من خلالها عن عمليات انتحارية كبيرة، وعن جماعة ذات إيمان عميق يكره التواجد الأجنبي في المنطقة، ويحث على ضرورة التحرك لإزالته.

هذه الحكاية تشكل محوراً هاماً في تفسير طبيعة إنتاج البطالة والسياسات الأمريكية للكثير من العمليات الانتحارية التي تصبح بالتالي نتيجة طبيعية لإنتاج التطرّف والإرهاب في العالم الإسلامي.

يشكل المشهد الأخير من الفيلم ذروة أحداثه، حيث التوازي الملحوظ بين عملية اغتيال الأمير ناصر على أيدي الأمريكان، وبين العملية الانتحارية بتفجير المدمرة الأمريكية في بحر العرب، هنا تصبح الشاشة بيضاء بدلاً من صوت الانفجار لبضع لحظات، كل طرف يبارك نجاح عمليته، يردد أعضاء الجماعة ''الهدف أصيب''، ويبارك الأب سالم خان مقتل ولده في انفجار المدمرة، حين يقول: نحن من التراب وإلى التراب نعود. وفي نفس الوقت نرى الأمريكان وهم يشربون نخب انتصارهم بمقتل الأمير وإزاحته عن طريقهم، يرددون وهم يصفقون أن العملية انتهت.

لوحات مبعثرة

هوليوود تقحم نفسها في المتعة الآسيوية

محمد راشد بوعلي

عندما يُطرح تساؤل لكافة الناس ماذا تعرف عن السينما الآسيوية فتجد في الأغلب جواباً واحداً وهو أسماء ممثلي الاكشن 'جاكي شان وجت لي'، إضافة إلى أن البعض يعتبر الأفلام الأمريكية الإنتاج آسيوية البطولة تعتبر من الأفلام الآسيوية كمن يقول لك: 'رش آور'، 'ذا ون'، 'توكسيدو' إلخ..

لكن هنا وبصريح العبارة يجب أن نقولها 'طبعا لا' فهذه الأفلام لا تمت لآسيا بأي صلة، وإنما هي صورة تجارية أمريكية لكسب الربح من خلال المهارات الآسيوية الفنية في 'الاكشن'!

ولكن قد يصعب علينا التمييز أو الفصل بين الأفلام في ما إذا كانت آسيوية أم أمريكية وذلك لأن السينما الأمريكية أخذت تحاول غزو السوق الآسيوي بأفلام من صنعها ولكنها آسيوية النكهة كما شاهدنا في الفترة الأخيرة أقرب مثال لذلك فيلم ''مذكرات غيشيا'' من إخراج ''روب مارشال'' مخرج الفيلم الحائز على الأوسكار ''شيكاغو''، وعلى الرغم من نجاح الفيلم نقديا وحصوله على عدد من جوائز الأوسكار لهذا العام فإن هناك جملة للناقد ''روجر ايبرت'' يختصر بها كلامي عنه: ''أعتقد انه كلما زادت معرفتك بالأفلام الآسيوية كلما قل إعجابك للفيلم''، ولكن قوة نبع الفكر في الأفلام الآسيوية وابتعادها عن أسلوب التقليد والاقتباس من الأفلام الأمريكية، أعطاها نكهة ميزتها عن نظيراتها وجعلها تبني لنفسها مكانة عالية في نظر المتابعين للسينما وومكنها من منافسة أقوى أفلام السينما الأمريكية (نذكر فيلم النمر الرابض والتنين الخفي الذي كاد أن يفوز بالأوسكار على حساب فيلم ''غلادييتور'' المحارب في تلك السنة).

ومن أقوى مظاهر قوة إبداعات السينما الآسيوية وتقدمها على السينما الأمريكية هو قيام الأخيرة بعمل "Remake" للفيلم الآسيوي المنتج، أي إعادة تصوير الفيلم الآسيوي ولكن بتغيير نكهته إلى النكهة الأمريكية مما يثبت شح الأفكار وتراجع مستوى الكتاب وتأخرهم الإبداعي مقارنة بمبدعين السينما الآسيوية، نذكر على سبيل المثال: الفيلم الكوري "Old Boy" من إنتاج عام 2003 ومن إخراج ''جان شون ووك''، والذي يعتبر احد أروع الأفلام الآسيوية التي شاهدتها على الإطلاق، فقد كان متميزا بمختلف جوانبه سواءا من إخراج، قصة، تمثيل أو حتى التصوير والموسيقى! قد قدم الفيلم بين طياته ارضاءا للعديد من الأذواق فقد كان مزيج من الإثارة ،الاكشن والدراما إضافة إلى عنصر محبب لدى البعض وهو العنف الشديد، (للتنبيه فقد احتوى الفيلم على الكثير من المشاهد العنيفة والدموية)، على الرغم من أن قيام الفيلم يعتمد على فكرة بسيطة وتوجيهه لرسالة قد يستغربها البعض وهي اختصرها بكلمتين ''صن لسانك''، ولكن إبداع المخرج في كل لقطة من لقطات الفيلم وبإبداعه في التنويع برسم الصورة على الشاشة، إضافة إلى العمق الفكري في صياغة قصة الفيلم جعلتنا نقف أمام تحفه سينمائية قد لا تتكرر، (على الرغم من محاولة هوليوود لتكرريها في عمل ''الريمك'' للفيلم، ومن المفترض ان تعرض الإعادة هذا العام حيث بانتظار أن يبدأ بتصوير الفيلم بعد أن ينتهي المخرج والكاتب المقرر للإعادة ''جستين لي'' (لم يسبق لي مشاهدة أعماله) من تصوير فيلم ''السرعة والغضب 3" وعلى أن يقوم الممثل ''غاري اولدمان'' بدور البطولة)، أتمنى أن لا يشوه هذا الفيلم بفيلم هوليودي هابط.

نصيحة لكل محب للسينما، إذا لم تشاهد فيلم "old boy" فانك تفوت على نفسك متعة منقطعة النظير، وتجربة سينمائية لن تتكرر ويمكن أن انهي حديثي بمقولة الناقد وودي جاغرست: (قد يعامل "old boy" الآن كحدث سينمائي هام، ولكنه سيغدو كلاسيكية خلال بضعة أعوام قادمة).